

كتابخانه و مرکز اطلاع رسانی
بنیاد و ایرة المعارف اسلامی

علوم اللغة (٥١)

دراسات علمية مُحَكَّمة تصدر أربع مرات في السنة
كتاب دوري

١٩٩٩

العدد الأول

المجلد الثاني

رئيس التحرير

أ.د. محمود فهمى حجازى (القاهرة)

مدير التحرير

أ.د. مجدى إبراهيم يوسف (حلوان)

نائباً رئيس التحرير

أ.د. سعيد حسن بحيرى (عين شمس)

أ.د. عمر صابر عبد الجليل (القاهرة)

المستشارون العلميون

أ.د. جوزيف ديشى (ليون ٢) أ.د. عبده على الراجحي (الاسكندرية)

أ.د. حسن حمزة (ليون ٢) أ.د. كمال محمد بشر (القاهرة)

أ.د. حمزة المزينى (الرياض) أ.د. مائفرد فويدخ (أمستردام)

أ.د. رثيف جورج خورى (ميدبرج) أ.د. محمد عونى عبد الرؤوف (عين شمس)

أ.د. السعيد محمد بدوى (الجامعة الأمريكية بالقاهرة) أ.د. محمود الطنناحى (حلوان)

أ.د. فولفديترش فيشر (ارلانجن) أ.د. مصطفى مندور (بنها)

الناشر

دار غريب

القاهرة

شماره ثبت ٩٠٨٢٨

تاريخ ١٥/١٢/١٣٨٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

علوم اللغة

دراسات علمية محكمة تصدر أربع مرات في السنة كتاب دوري

مج ٢، ع ١ ١٩٩٩

٢) حقوق الطبع والنشر محفوظة : ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أى قسم من أجزائه ، بأي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته ، أو اختراعه فى أى شكل من أشكال نظم استخراج المعلومات ، إلا بموافقة كتابي من الناشر .

قيمة الاشتراك السنوى :

- ٨ جنيه مصرياً (داخل جمهورية مصر العربية)
- ٨ دولاراً أمريكياً (خارج جمهورية مصر العربية شاملاً البريد)

معر العدد :

- ٢ جنيه مصرياً (داخل جمهورية مصر العربية)
- ٢ دولاراً أمريكياً (خارج جمهورية مصر العربية شاملاً البريد)

أبعاد خاصة للطلبة

المراسلات

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ - جمهورية مصر العربية

تليفون ٣٥٤٢٠٧٩ فاكس ٣٥٥٤٣٢٤

المحتويات

الصفحة	البحوث:
٩	لفظ الله دراسة فى التأصيل المعجمى فى السامية والخصائص المورفولوجية والتركيبة والدلالة د. محمد رجب الوزير
٦٩	دور السياق فى تقدير مرجع الضمير فى الدراسات اللغوية والقرآنية د. محمد أحمد خضير
١٠٣	أثر التغير الدلالى فى ظهور الترادف د. طيبة صالح الشذر مركز بحوث وتطوير علوم ١٨٠
	القلب المكانى فى الموروث اللغوى د. أحمد مطر العطية
٢١٧	تبسيط استخدام اللغة العربية: الضعف اللغوى والإصلاح د. عوض بن حمد القوزى
٢٤٦	المصدر الصناعى فى الصحافة المصرية (١٩٩٦ - ١٩٩٨) دراسة صرفية دلالية د. عزة عبد الحكيم عبد الفتاح
٣١٥	كتاب «علم النص» لتوين أ. فان دايك د. سعيد حسن بحيرى

القلب المكاني

في الموروث اللغوي

د. أحمد مطر العطية

جامعة الملك سعود

القلب المكاني ظاهرة لغوية ، يلتمسها الباحث في الموروث اللغوي ، وقد رصدها القدامى ، وأوردوا نماذج منها ، واختلفوا في حدّها ، وتشعبت آراؤهم في عللها وأدلتها . كما نلّمسها في لغاتنا الدارجة ، ولهجاتنا المحلية ، وقد رصد المحدثون نماذج منها وأودعوها مؤلفاتهم ومصنفاتهم اللغوية .

وكما تشعبت آراء القدامى في هذه الظاهرة ، تفرقت آراء المحدثين فيها ، وحاول بعضهم تفسيرها وتعليلها على ضوء علم الأصوات الحديث ، وتقنياته المتطورة . وفضلاً عن ذلك فالظاهرة ليس وفقاً على العربية ، وحسب ، بل نجدها في كثير من اللغات العالمية الأخرى ، وخاصة الساميات .

ويحاول هذا البحث المتواضع أن يدرس هذه الظاهرة ، وفق منهج يقوم أساساً على دراسة آراء القدامى والمحدثين على حد سواء ، ومناقشة تلك الآراء من أجل تقديم صورة جلية - قدر المستطاع - عن هذه الظاهرة ، عبر ثلاث نقاط : حقيقة الظاهرة وحدّها ، ثم أدلتها ، وأخيراً أسبابها وعللها .

يرد القلب في اللغة بمعنى تحويل الشيء عن وجهه ، ففي المصباح المنير (قلب) : قلبته قلباً : حولته عن وجهه ، وكلام مقلوب : مصروف عن

وجهه ، وقلبت الرءاء : حولته ، وجعلت أعلاه أسفله . أما فى الاصطلاح فلا يكاد يخرج عن معنى التقديم والتأخير . ويرد مصطلح القلب فى جملة علوم ، كعلوم الشريعة ، والبلاغة ، والنحو والصرف . وفى الشريعة : «يراد به ثبوت الحكم بدون علة»^(١) . وفى البلاغة يعدُّ من وجوه تحسين الكلام^(٢) .

وفى النحو يراد به التقديم والتأخير بين أجزاء الكلام ، كتقديم المسند على المسند إليه ، وغير ذلك ، لدواع بلاغية مذكورة فى كتب النحو والبلاغة . أما فى الصرف ، فيراد به أمران : أولهما القلب الصرفى وهو ما يجرى بين أحرف العلة والهمزة ، كقلب الياء واوًا أو العكس وغير ذلك ، وهذا باب واسع فى الصرف لا يخلو منه كتاب صرفى ، وهو ما يدعى الإعلال بالقلب . وثانيهما : تقديم بعض أحرف الكلمة على بعض ، وهو ما يسمى بالقلب المكانى^(٣) . وهذا ماسيكون موضوع بحثنا ، وضالتنا التى ننشدها . أما أنواع القلب الأخرى فسا ضرب عنها صفحًا ، ولن أتعرض لها بذكر ، لأنها على ما أرى أشبعت بحثًا فى كتب البلاغة والنحو والصرف .

كثيراً مانجد فى اللغة ألفاظاً جرى فيها تبادل بين مواقع أحرفها ، فقدم فيها حرف على آخر «فهناك كلمتان أو لفظان يؤديان معنى واحداً ، لكنهما يختلفان

١- على بن محمد الجرجانى ، التعريفات ، (بيروت ، دار المكتبة العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ) ، ص ١٧٨ .

٢- فرج الله رضى الكردى ، شروح التلخيص ، (القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه) ، ٢٨٥/٤ .

٣- الرضى الأستراباذى ، شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق محمد نور الحسن ورفيقه ، (القاهرة ، مطبعة حجازى) ٢١/١ . وانظر : أبا حيان الأندلسى ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق د. مصطفى أحمد النماس ، (١٤٠٤هـ) ، ١٦٠/١ .

فى ترتيب هذه الأحرف ^(١) . فلكى نحكم على الكلمة أن فيها قلباً مكانياً ، فلا بد من أن تماثل كلمة أخرى فى ، وفى الحروف ، غير أنهما يختلفان فى ترتيب هذه الأحرف ، أما إذا اختلف المعنيان ، فليس هذا من القلب المكانى ، بيد أن بعض الباحثين يجيز أن يكون المعنيان متقاربين ، فالدكتور الطيب بكوش يقول : «التبادل من أسباب وجود صيغتين بنفس المعنى وأحياناً بمعنيين متقاربين» ^(٢) ، وسنرى فيما بعد أن هناك آخرين ذهبوا هذا المذهب . ولا بد أيضاً أن تكون إحدى الكلمتين أصلاً والأخرى فرعاً عليها ، ويجب أن يقصر الفرع عن الأصل فى التصرف ^(٣) ، أما إذا تساوى اللفظان تصرفاً ، فلا يعد هذا قلباً ، بل هما لغتان . وهذا هو مذهب البصريين ^(٤) .

أما الكوفيون فقد توسعوا فى مدلوله ، وعدّوا مثل هذا الذى أنكره البصريون قلباً ، قال النحاس فى شرح المعلقات : «القلب الصحيح عند البصريين مثل ، شاكى السلاح ، وشأنك ، وجرف هار ، وهائر ، وأما ما يسميه الكوفيون القلب نحو جذب وجبذ ، فليس هذا بقلب عند البصريين ، وإنما هما لغتان» ^(٥) .

١- أبو أوس إبراهيم الشمان ، دروس فى علم الصرف ، (الرياض ، مكتبة الرشد ، ط ١ ، ١٤١٨هـ) ٣٧/١ .

٢- الطيب بكوش ، التصريف العربى من خلال علم الأصوات الحديث ، (تونس ، مؤسسات عبد الكريم ابن عبد الله ، ط ٢ ، ١٩٦٧م) ، ص ٧٣ .

٣- أبو الفتح عثمان بن جنى ، الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، (بيروت ، دار الهدى للطباعة والنشر) ، ٦٩/٢ .

٤- انظر جلال الدين السيوطى ، المزهرة فى علوم اللغة ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفيقه ، (القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، بلا تاريخ) ، ٤٨١/٢ . وانظر أيضاً ، أبا الفتح ، عثمان بن جنى ، المتصف ، تحقيق إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، (القاهرة ، مكتبة مصطفى البابى الحلبي ، ١٩٥٤م) ١٠٥/٢ .

٥- المزهرة ٤٨١/٢ .

وذهب اللغويون مذهب الكوفيين ، قال السخاوى فى شرح المفصل : «إذا قلبوا لم يجعلوا للفرع مصدراً ، لئلا يلتبس بالأصل ، بل يقتصر على مصدر الأصل ، ليكون شاهداً للأصالة ، نحو يش يأساً ، وآيس مقلوب منه ، ولا مصدر له ، فإذا وجد المصدران ، حكم النحاة بأن كل واحد من الفعلين أصل ، وليس بمقلوب من الآخر ، نحو جبذ ، وجذب ، وأهل اللغة يقولون : إن ذلك كله مقلوب»^(١) .

وجاء فى درة الغواص للحريرى : «وقال شيخنا أبو القاسم : فأما قولهم : جذب وجبذ ، فليس هاتان اللفظتان عند المحققين من النحويين من قبيل المقلوب كما ذكر أهل اللغة ، بل هما لغتان ، وكل واحدة منهما أصل فى نفسها ، ولهذا اشتق لكل منهما مصدر من لفظه . فقل فى مصدر جبذ : جبذ ، كما قيل فى مصدر جذب : جذب»^(٢) .

ولعل ما ذهب إليه اللغويون ونحاة الكوفة أقرب إلى حقيقة القلب مما ذهب إليه البصريون لأن من الملاحظ «أن بعض الكلمات المقلوبة ، بعد أن تشيع على الألسنة تأخذ مجراها الطبيعى فى اللغة باستعمال باقى المشتقات منها»^(٣) .

ويؤيد هذا المفهوم ما نسمعه فى لغتنا الدارجة من أن الكلمة المقلوبة - فى كثير من الأحيان - تساوى أصلها تصرفاً ، من ذلك (كلمة جواز) وهى مقلوبة من الكلمة الفصيحة «زواج» نجد منها المصدر : (الجواز) يقابل (الزواج) ،

١- نفسه ٤٨١/٢ .

٢- القاسم بن على الحريرى ، درة الغواص فى أوهام الخواص ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر) ، ص ١١٦ .

٣- رمضان عبد التواب ، التطور اللغوى مظاهره وعمله ، (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، الرياض ، دار الرفاعى ، ١٩٨١) ، ص ٦٠ .

والجيزة تقابل الزيجة ، والجسور يقابل الزوج ، ونجور تقابل تزوج وهكذا يقول الدكتور إبراهيم أنيس : «ويرى اللغوى الحديث فى كل أمثلة القلب المكانى أن إحدى الصورتين أصل ، وأن الأخرى فرع لها ، غير أنه تصادف أن بعض الفروع اشتهرت ، وشاع استعمالها فتصرفت أيضاً كالأصول وجاءت منها مشتقاتها ، فى حين أن البعض الآخر من الفروع لم تتح له تلك الشهرة أو الشيع فلم تتصرف كأصولها»^(١) .

وظاهرة القلب المكانى لمحها العلماء العرب القدامى ، فأشار إليها الخليل^(٢) (ت ١٧٠هـ) وسيبويه^(٣) (ت ١٨٠هـ) والمازنى^(٤) (ت ٢٤٩هـ) وابن جنى^(٥) (ت ٣٩٢هـ) وغيرهم . . . وقال ابن جنى : «وهذا القلب كثير فى كلام العرب»^(٦) ، وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : «من سنن العرب القلب»^(٧) . وقد صنف علماء اللغة فيه مؤلفات . قال أبو الفتح : «لا ترى أن القلب قد كثر فى كلامهم ، حتى إن ابن السكيت (ت ٢٤٣هـ) قد صنف فيه كتاباً»^(٨) . وجاء فى مزهر السيوطى : «وقد ألف ابن السكيت فى هذا النوع كتاباً ، ينقل عنه صاحب الصحاح»^(٩) إلا أن كتاب ابن السكيت لم يصل إلينا وفقد مع ما فقد من روائع تراثنا اللغوى .

١- إبراهيم أنيس «مسطرة اللغوى» مجلة اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٣. (شوال ١٣٩٢هـ) ، ص ٩ .

٢- سيبويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٥م) ٣٧٧/٤ ، وانظر المنصف ٩٣/٢ .

٣- سيبويه ٤٦٧/٣ .

٤- المنصف ٩٤/٢ ، ١٠١ ، ١٠٤ .

٥- الخصائص ٦٩/٢ - ٧٥ . و، المنصف ٩٣/٢ وما بعدها .

٦- المنصف ، ٩٣/٢ .

٧- ابن فارس ، الصحاح فى فقه اللغة العربية (بيروت ، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر) ص ٢٠٢ .

٨- المنصف ٩٥/٢ .

٩- المزهر ٤٧٦/١ .

وقد جمع بعض العلماء ألفاظاً عديدة من المقلوب وأوردوها مؤلفاتهم ، فابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) جمع منها قدراً صالحاً فى كتابه أدب الكاتب ^(١) . وخصص السيوطى فى مزهره حيزاً لهذا النوع من الألفاظ ، فأورد نحو مئة لفظة عدها من المقلوب ^(٢) . ولم ينكر هذه الظاهرة من القدامى إلا ابن درستويه (ت ٣٤٧هـ) فقد ألف كتاباً أسماه «إبطال القلب» ^(٣) .

كما اهتم المحدثون بهذه الظاهرة ، فقد أورد الشدياق طائفة من الألفاظ المقلوبة فى كتاب الجاسوس على القاموس ^(٤) . وكذلك ذكر الشيخ عبد القادر المغربى جملة من الألفاظ المقلوبة فى كتابه «الاشتقاق والتعريب» ^(٥) . ومثل ذلك فعل الأب أنستاس الكرملى فى كتابه «نشوء اللغة العربية ، ونموها واكتهاؤها» ^(٦) . وألف الدكتور عبد الفتاح الحمور كتاباً ^(٧) مستقلاً فى هذا الموضوع . وأطلق الدكتور الطيب بكوش مصطلح «التبادل» على هذه الظاهرة ، قال : تتمثل هذه الظاهرة فى تبادل صوتين مكانهما من الكلمة فيحدث بذلك تأخير الأول وتقديم الثانى ^(٨) ولعل هذا المصطلح أقرب إلى حقيقة هذه الظاهرة من المصطلح الشائع (القلب) .

-
- ١- ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، (بيروت دار المعرفة) ص ٣٨١ .
 - ٢- المزهر ، ٤٧٦/١ - ٤٨١ .
 - ٣- السابق ، ٤٨١/١ .
 - ٤- أحمد فارس الشدياق ، الجاسوس على القاموس (القسطنطينية ، مطبعة الجوائب ، ١٢٩٩هـ) ، ص ١٧٤ .
 - ٥- عبد القادر المغربى ، الاشتقاق والتعريب (القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٦هـ ، ١٩٤٧م) ، ص ٤- ١٨ .
 - ٦- الأب أنستاس مارى الكرملى ، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاؤها (القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية) ص ١٦- ١٨ .
 - ٧- عنوانه (ظاهرة القلب المكانى فى اللغة العربية ، عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها) نشرته (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ودار عمار ، عمان ، بدعم من جامعة مؤتة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .
 - ٨- التصريف العربى ٧٣ .

وهذه الظاهرة نلمسها كثيراً في لهجاتها المعاصرة ، فهناك من يقول : قضب بدل قبض ، وفي بلاد الشام يقولون الرعبون في العربون ، وكثيرهم الذين يلفظون المعلقة : معلقة . وكذلك سدّاج في سجاد ، وكثيراً ما نسمع من بعضهم يقول : المنجمرت ويريد انزعجت ، والمصدر المنجمار (لهجة دمشقية قديمة وجزاز في رجاج ، ومرسح في مسرح ، وجنزيل في رنجيل . . . إلخ . والقلب في لهجة العامة أكثر من أن يحصى ، وقد جمع الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه التطور اللغوي ^(١) قدراً صالحاً من الألفاظ المقلوبة في لهجة العامة المعاصرة ومن بيئات لغوية مختلفة . ونلمس هذه الظاهرة بوضوح في لغة الأطفال في سن مبكرة إلا أنها سرعان ما تستقيم السنتهم ، فيتخلصون منها في بضع سنين . ويكثر القلب المكانى في المعتل والمهمور ، ويقل في غيرهما ، وهو في الواو أكثر من الياء ^(٢) .

والقلب المكانى ليس وفقاً على العربية ، بل نجده في لغات عالمية أخرى . يقول الدكتور إبراهيم أنيس : «ظاهرة القلب المكانى ليست مقصورة على اللغة العربية ، فقد عرفت في بعض اللغات الأجنبية» ^(٣) . فهي موجودة في اللغات السامية ، يقول كارل بروكلمان : «ففى السامية الأولى تدخل تاء الصيغة الانعكاسية تاء الافتعال بعد فاء الفعل ، إذا كانت هذه صوتاً من أصوات الصغير» ^(٤) ومثل على ذلك بالفاظ من الحبشية والعبرية والسريانية

١- التطور اللغوى ، مظهره وعلمه وقوانينه ، ص ٥٩-٦٠ .

٢- ارتشاف الضرب ، ١٦٠ .

٣- إبراهيم أنيس «مطيرة اللغوى» ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الجزء ٣٠ ، (شوال ١٣٩٢هـ) ، ص ٩ .

٤- كارل بروكلمان ، فقه اللغات السامية ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، (الرياض : مطبوعات جامعة الرياض ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٧م) ، ص ٨٠ .

والآشورية . ثم قال : « وفي الحبشية يحدث القلب المكاني بين الصوت الشفوي وصوت الصفير ، كما يحدث بين الصوت الغاري وصوت الصفير . . . وفي العبرية يحدث القلب المكاني بين الأصوات المائعة ^(١) ، كما يحدث بين الصوت المائع والحركة ، وفي الآرامية يحدث بين الصوت الشفوي وصوت الصفير ^(٢) ، ومثل على ذلك بالفاظ من هذه اللغات ^(٣) . كما نعتز على هذه الظاهرة في لغات أجنبية ، يقول فندريس في كتابه اللغة : « بدلاً من فسترا Festra نافذة ، يقال في البرتغالية : Festa «فرستا» ويقال في بعض اللهجات البرتغالية : drebi بدلاً من drebri (دبري) ، يأكل ^(٤) . وأشار إلى هذه الظاهرة جسبرسن وأورد أمثلة عليها من لغة الاطفال الإنجليز ^(٥) .

أدلة وجود القلب المكاني :

لعل أبا الفتح عثمان بن جني هو أول من أصل لهذه الظاهرة ، واستنبط قوانينها وأحكامها ، ووضع ضوابطها وأدلتها ، وهو بلا ريب استند إلى أقوال سابقيه وآرائهم في تلكم الظاهرة ، وخاصة سيويه والخليل والمازني ، غير أنه هو الذي جمع تلك الأقوال وحررها ، وسلكها في منظومة من الضوابط

١- الأصوات المائعة مصطلح يطلق على الصوامت الترددية (R) والصوامت الجانبية (I) والأصوات المائعة هي عادة مجهورة في بعض اللغات ، ولكن يمكن أن تفقد جهرها عند الاتصال بصوامت مهموسة . وتعتبر مهموسة في بعض اللغات . انظر برتيل مالبرج ، علم الأصوات ، تعريب د. عبد الصبور شاهين (القاهرة ، مكتبة الشباب ١٩٨٥) ، ص ١٠٠ .

٢- فقه اللغات السامية ، ٨١ .

٣- نفسه ، ٨١ .

٤- فندريس ، اللغة ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٠) ص ٩٤ .

٥- إبراهيم أنيس . مسطرة اللغوى ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ج ٣٠ ، ص ٩ .

والقواعد والأدلة التي بها يكشف عن هذه الظاهرة . والأصل والقياس عند أبي الفتح إلا يكون هناك قلب بين اللفظين اللذين بينهما تقديم وتأخير ، بل يعد كل واحد منهما أصلاً مستقلاً حتى تنهض الأدلة على أن أحدهما مقلوب عن الآخر ، يقول في خصائصه : «اعلم أن كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير ، فامكن أن يكونا جميعاً أصليين ، ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه ، فهو القياس الذي لا يجوز غيره ، وإن لم يكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه ، ثم رأيت أيهما الأصل ، وأيهما الفرع» (١) .

أما الأدلة التي استنبطها للحكم بالقلب أو عدمه ، ومعرفة الأصل من الفرع فهي :

١- السعة في التصرف : فإن كان اللفظان متساويين في التصرف حكم عليهما بعدم القلب ، وعد كل واحد منهما أصلاً . وبهذا الدليل حكم بعدم القلب بين جذب وجذب ، قال : «فما تركيبه أصلاً لا قلب فيهما قولهم : جذب وجذب ، ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه ، وذلك أنهما جميعاً يتصرفان تصرفاً واحداً ، نحو جذب يجذب جذباً ، فهو جاذب ، والمفعول مجذوب ، وجذب يجذب جبذاً فهو جابذ والمفعول مجبوز ، فإن جعلت أحدهما أصلاً لصاحبه ، فسد ذلك لأنك لو فعلته لم يكن أحدهما أسعد بهذه من الأخرى ، فإذا وقفت الحال بينهما ، ولم يؤثر بالمزية أحدهما ، وجب أن يتوازيا ، وأن يمثلًا بصفحتيهما معاً ، وكذلك ما هذه سبيله» (٢) .

إما إذا كان أحد اللفظين أوسع تصرفاً من الآخر ، فإنه بقلب أحدهما عن الآخر ، فيكون الأكثر تصرفاً أصلاً لصاحبه . والآخر فرعاً ، قال : «فإن قصر

١- الخصائص ٩٦/٢ - ٧٠ .

٢- السابق ٦٩/٢ - ٧٠ .

أحدهما عن تصرف صاحبه ، ولم يساوه فيه ، كان أوسعهما تصرفاً أصلاً لصاحبه»^(١) .

وهذا الدليل مأخوذ من قول أبى عثمان المازنى ، الذى نقله أبو الفتح فى المنصف ، حيث جاء فيه : «وقال أبو عثمان : وأما جِذ وجذب فليس واحد منهما مقلوب عن صاحبه ، لأنهما جميعاً يتصرفان ، ولا يختص واحد منهما بشيء دون الآخر . . . فليس واحد منهما أولى بأن يكون مقلوباً إلى صاحبه الآخر»^(٢) . ولم يمثل أبو الفتح لهذا الدليل ، إلا أن ابن عصفور مثّل له فى ممتعه ، فقال : « . . . وذلك نحو شوائع ، فإنه أكثر تصرفاً من (شواعى) ، لأنه يقال : شاع يشيع فهو شائع ، ولا يقال : شعى يشعى فهو شاع ، فلذلك كان شوائع الأصل»^(٣) .

ومما تجدر ملاحظته أن هذا لا يطرد دائماً ، فقد مر معنا قبل قليل أن المقلوب قد يشيع أحياناً على الألسنة ، فيتصرف كتصرف صاحبه .

٢- الرجوع إلى المصدر : فإذا ما عرفنا مصدر أحد اللفظين ، ولم نعثر للآخر على مصدر ، حكمنا بالقلب بينهما ، وجعلنا الأول أصلاً والآخر فرعاً ، قال أبو الفتح : «ومن المقلوب قولهم : امضَحَلَّ وهو مقلوب عن اضمَحَلَّ ، ألا ترى أن المصدر إنما هو على اضمَحَل ، وهو الاضمحلال ، ولا يقولون : امضِحلال»^(٤) ، وبهذا الدليل حكم بأن اكْرَهَفَ مقلوب عن اكْفَهَرَ ، قال : «وكذلك قولهم : اكْفَهَرَ واكْرَهَفَ ، الثانى مقلوب عن الاول ،

١- السابق ٧٠/٢ .

٢- المنصف ١٠٥/٢ .

٣- ابن عصفور ، المتع فى التصريف : تحقيق فخر الدين قباوة ، (حلب ، المكتبة العربية ، ط ١ ،

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م) ، ٦١٧/٢ .

٤- الخصائص ، ٧٣/٢ .

لأن التصرف على اكفهر وقع ، ومصدره الاكفهرار ، ولم يمرر بنا الاكرهفاف»^(١) . ثم قال : «وقد حكى بعضهم مكرهفًا ، فإن ساواه في الاستعمال ، فهما على ما تراه أصلان»^(٢) .

وكذلك حكم بان (آن) مقلوب عن (أنى) ، فقال : «... وذلك قولهم : أنى الشيء يأنى ، وأن يئن فـ (آن) مقلوب عن (أنى) ، والدليل على ذلك وجودك مصدر (أنى يأنى) وهو الإنى . ولا نجد لـ (آن) مصدرًا ، كذا قال الأصمعى ، فاما الأين فليس من هذا فى شيء ، إنما الأين : الإعياء والتعب ، فلما عدم من (آن) المصدر الذى هو أصل الفعل علم أنه مقلوب من أنى يأنى إنى»^(٣) . وبهذا الدليل أيضًا حكم أبو على الفارسى على (أيست) أنه مقلوب على يشت ، قال أبو الفتح : «ومثل ذلك فى القلب قولهم : أيست من كذا ، فهو مقلوب من يشت لأمرين ، ذكر أبو على أحدهما ، وهو ما ذهب إليه من أيست لا مصدر له»^(٤) .

٣- عدم الإعلال مع متوجبه : إذا كان أحد اللفظين فيه ما يوجب الإعلال ، ولم يُعل . فإنه عندئذ يعدُّ مقلوبًا عن اللفظ الآخر ، وتكون صحته دليلًا على قلبه ، يقول أبو الفتح بعد أن أورد حجة أبى على فى قلب (أيس) من (يئس) : «وأما الآخر فعندى أنه لو لم يكن مقلوبًا لوجب إعلاله ، وأن تقول : إست أس كهبت أهاب ، فظهوره صحيحًا يدل على أنه إنما صح لأنه مقلوب عما تصح عينه وهو (يشت) لتكون الصحة دليلًا على ذلك

١- الخصائص ، ٧٣/٢ .

٢- نفسه ٧٣/٢ .

٣- نفسه ، ٧٠/٢ .

٤- نفسه ، ٧٠/٢ .

المعنى . كما صحت عَوْر دليلاً على أنه فى معنى ما لا بد من صحته وهو أعور»^(١) .

ولعل قائلًا يقول : إن عدم إعلال (إيس) إنما هو شاذ على القياس ، وليس مقلوبًا عن (يش). والجواب عن ذلك عند ابن عصفور ؛ إذ يقول بعد أن أورد هذا الدليل فى ممتعه : «ولا ينبغى أن يجعل إيس أصلًا ، ويجعل تصحيحه شاذًا ، لأن القلب أوسع من تصحيح المعتل وأكثر»^(٢) . ومعنى هذا أن ظاهرة القلب أكثر من صحة المعتل وأوسع ، الحمل على الأكثر أولى من الحمل على القليل والشاذ .

٤- التجرد والزيادة : فإن كان أحد اللفظين مجردًا من الزيادة والآخر مزيدًا ، حكم على المزيد بأنه مقلوب عن المجرد ، ولهذا ذهب سيويه إلى أن (اطمأن) مقلوب عن طمأن^(٣) . وأوضح أبو الفتح مذهب سيويه بقوله : «وحجة سيويه فيه أن طامن غير ذى زيادة ، واطمأن ذو زيادة ، والزيادة إذا لحقت الكلمة ، لحقها ضرب من الوهن لذلك ، وذلك لأن مغلطتها شيئًا ليس من أصلها مزاحمة لها ، وتسوية فى التزامه بينها وبينه ، وهو وإن تبلغ الزيادة على الأصول ، فحسن الحذف منها ، فإنه على كل حال على صدد من التوهين لها»^(٤) .

٥- منع الصرف لغير حلة : وهذا الدليل خاص بكلمة (أشياء) ، على

١- الخصائص ، ٧٢/٢ .

٢- المتع ٦١٨/٢ .

٣- سيويه ٤٦٧/٣ ، ٣٨١/٤ ، وقد خالف أبو عمر الجرمى سيويه فى ذلك ، فذهب إلى أن (اطمأن) غير مقلوب وأن (طمأن) هو المقلوب . وأيد ابن جنى مذهب سيويه . انظر المتع ١٠٤/٢ . أما

ابن عصفور فقد أيد مذهب الجرمى . انظر المتع ٦١٧/٢ .

٤- الخصائص ٧٥/٢ ، وانظر ارتشاف الضرب ١٦١/١ .

قول الخليل فقد وردت هذه الكلمة ممنوعة من الصرف ، ولو كان ترتيبها طبيعياً لكان وزنهما (أَفْعَال) ، وهذا الوزن لا يمنع الكلمة من الصرف ، ولهذا عدت مقلوبة ، وأنها على وزن (لَفْعَاء) وهذا ما يسوغ منعها من الصرف . جاء في كتاب المنصف : «قال أبو عثمان : وقال - يعنى الخليل - أشياء فَعْلَاء مقلوبة وكان أصلها : شَيْثَاء ، مثل حَمْرَاء ، فقلبت فجعل الهمزة التى هى لام أولاً ، فقال أشياء كأنها لَفْعَاء» (١) .

ثم جاء فيه أيضاً : «قال أبو الفتح : اعلم أنه إنما ذهب الخليل وأبو الحسن فى أشياء إلى ما ذهبوا إليه ، وتركوا أن يحملوها على ظاهر لفظها ، فيقولوا : إنها أفعال ، لأنهما رأياها نكرة غير مصروفة . . . فلما رأياها نكرة غير معروفة فى حال التنكير ذهبوا إلى أن الهمزة للتأنيث ، فقال الخليل : هى فعلاء منقولة إلى لفعاء ، وقال أبو الحسن هى أَفْعَاء ، وقول الخليل فيها أقوى» (٢) .

وفى الحقيقة أن فى النفس شيئاً من هذا الدليل ، لأن الدليل يجب أن يطرد وينفاس ، أما أن نحصره فى كلمة واحدة ، فهذا الذى لا تطمئن إليه النفس ، وكان الأولى أن يعدّ منع هذه الكلمة من الصرف شاذاً ، وعندئذ نتخلص من التأويلات الكثيرة التى علل بها العلماء منع هذه الكلمة من الصرف» (٣) .

وثمة أدلة أخرى لم يذكرها أبو الفتح ، إلا أن علماء آخرين ذكروها ، ويمكن أن نجملها بما يلى :

١- المنصف ٩٤/٢ .

٢- نفسه ٩٤/٢ - ٩٥ .

٣- انظر تلك التأويلات فى كتاب المنصف ٥٤/٢ وما بعدها .

١- كثرة الاستعمال : وذلك إذا كان أحد اللفظين أكثر استعمالاً من الآخر ، عدّ أصلاً ، والآخر مقلوباً عنه ، قال ابن عصفور في ممتعته أن يكون أحد النظمين أكثر استعمالاً من الآخر ، فيكون الأكثر استعمالاً هو الأصل ، والآخر مقلوباً منه ، نحو (لَعَمْرَى) و (رَعَمَلَى) فإن (لَعَمْرَى) أكثر استعمالاً ، فلذلك ادّعينا أنه الأصل^(١) .

ومثل ذلك «أدُر» جمع (دار) فهو مقلوب عن (أدُور) تقول الدكثورة خديجة الحديثي : «ويعرف القلب بقلة استعماله بالنسبة للأصل ، مثل (أدُر) مقلوب عن (أدُور) في جمع (دار) ، و (أدُور) أقل استعمالاً من (أدُور) فصح أنه المقلوب عن (أدُور) ، ومثله (راء) مقلوب عن (راى) ، لأن (راى) أكثر استعمالاً من (راء)^(٢) .

وهذا الدليل أيضاً لا تطمئن إليه النفس كلّ الاطمئنان ، وذلك أن المقلوب قد يكون أكثر استعمالاً وانتشاراً على الألسنة من الأصل ، ولا سيما أن من أسباب القلب - كما سنراها فيما بعد - الهروب من الثقل إلى الخفة ، وهذا يقضى أن يكون المقلوب أكثر تداولاً من الأصل ، وقد المّع إلى هذا الرضى في شرح الشافعية ، فقال : «وكذا قلة استعمال إحدى الكلمتين ، وكثرة استعمال الأخرى المناسبة لها لفظاً ومعنى لا تدل على كون القليلة الاستعمال مقلوبة»^(٣) .

٢- عدم اجتماع همزتين في الطرف : ويعرف القلب المكانى - عند

١- انظر الممتع ٦١٧/٢ ، وانظر ارتشاف الضرب ١٦١/١ .

٢- خديجة الحديثي ، أبنية الصرف في كتاب سيويه ، (بغداد ، مكتبة النهضة ، ط ١ ، ١٩٦٥م) ، ص

٢٤ ، وانظر سيويه ١٣٠/٢ ، وانظر النصف ٩٢/٢ .

٣- شرح الشافعية ٢٤/١ .

الخليل - إذا ما أدى عدم قلب الكلمة إلى اجتماع همزتين في الطرف .
وينحصر هذا الدليل في اسم الفاعل وجمعه المكسر من الفعل الأجوف المهموز
اللام ، نحو جاء ، وشاء ، وجمعهما المكسر جواء وشواء وكذلك الجمع
المكسر للكلمات التى فيها همزة قبلها حرف مد ، نحو خطايا جمع خطيئة
وأضربها . فهذه الكلمات لو جاءت على الأصل ، لالتقى فيها همزتان في
الطرف ، وهذا مستثقل فى اللفظ مستكره فى النطق ، ولهذا عدّ الخليل القلب
فى مثل هذه الكلمات قياساً ^(١) . ومن يتفحص هذا الدليل لا يجد فيه دليلاً
كاشفاً عن القلب ، وإنما هو سبب من أسباب القلب ، وستحدث عنها فيما
بعد .

٣- الرجوع إلى المفرد :

ويتضح ذلك فى كلمة (آبار) ، فإن مفردها (بئر) على وزن (فعل)
فالهمزة عين الكلمة ، وترتيبها الطبيعى أن تكون بعد الباء وعلى هذا يكون
قياس جمعها على (آبار) على وزن أفعال ، وبهذا نستدل على أن (آبار) فيها
قلب مكانى ، إذ جرى تبادل بين الهمزة والباء ، فقدمت الهمزة وأخرت
الباء ^(٢) . ومثل ذلك (آرم) ، فإن مفردا (رثم) وعلى ذلك يكون قياس
جمعها على (رثام) ، ولهذا قضينا بأن (آرام) مقلوبة عن (رثام) ومثل ذلك
أيضاً آراء ومفردا رأى ^(٣) .

١- انظر سيويه ١٢٩/٢ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، وشرح الشافية ٢٤/١-٢٥ ، وأبنية الصرف فى كتاب سيويه
١٢٤ ، ومحمد بدوى المختون «ظاهرة القلب الكانسى فى العربية» مجلة كلية اللغة العربية - جامعة

الإمام محمد بن سعود ، العدد ١١ ، (١٤٠١هـ) ، ص ٢٧٩ .

٢- انظر محمد محمود هلال ، الوافى الحديث فى فن التصريف (منشورات جامعة بنغازى ، ط ١ ،
١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) ، ص ٤٧ . وأحمد الحملاوى ، شذا العرف فى فن الصرف (بيروت ،
المكتبة العلمية ، بلا تاريخ) ، ص ٢٢ .

٣- نفسه .

٤- المقارنة باللغات السامية :

اعتمد بعض الباحثين المعاصرين على المقارنة باللغات السامية للكشف عن القلب فى عدد من الكلمات العربية ، يقول الدكتور رمضان عبد التواب : «بل إننا إذا قارنا العربية باللغات السامية الأخرى ، عثرنا على أمثلة حصل فيها هذا القلب المكانى فى العربية ، على حين احتفظت اللغات السامية الأخرى بالأصل ، فمثلاً كلمة رُكبة فى العبرية berch () وفى الآرامية burká () وفى الحبشية berk () وفى الأكادية burka . فأصل الكلمة على هذا (بُرْكة) ثم قلبت إلى رُكبة بدليل بقاء الأصل فى الفعل (بَرَكَ) ^(١) .

ويقول الأب أنستاس الكرملى : «وقالوا الركبة ، وكان الحق أن يقال البركة ، لأنهم اشتقوا منها (برك) ولم يقولوا ركب بهذا المعنى لثلا يختلط بمعنى اعتلاء ظهر الحيوان» ^(٢) .

وهذه المقارنة تنبهنا على أمر فى غاية الأهمية ، وهو أن بعض الكلمات المقلوبة قد تشيع وتنتشر وتشتهر ، ولا يعرف الناطقون إلاَّ أيَّاه ، بينما الأصل يقل استعماله ، ومن ثمة ينسى فيموت ، ولعل فى هذا ما يمكن أن يردَّ به على من اشترط أن يكون الأصل أوسع تصرفاً من الفرع ، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم ^(٣) .

وبمقارنة العربية بالساميات ، استطاع الباحثون تحديد الأصل والفرع بين الكلمات التى جرى بينها قلب مكانى ، يقول المستشرق الألمانى برجشتراسر : «وأحياناً نحتاج إلى استعراض الكلمات المقابلة معنى ، فى سائر اللغات ، مثال

١- التطور اللغوى ٥٨ .

٢- نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها ١٠٦ .

٣- انظر ما تقدم ص ٣ .

ذلك أنا نحمد في العربية : شَمَالٌ وشَأمَلٌ أى الشمال ، ونرى من العبرية أن شَمَالٌ هو الأصل ، وشَأمَلٌ مقلوب منه^(١) . ومثل ذلك كلمة (مع) ، فأصلها (عم) ، إلا أن العربية فقدت الأصل ، وعرف هذا بالمقارنة باللغات السامية^(٢) .

وبعد ، فهذه أشهر أدلة القلب المكاني ، جمعتها من أقوال الباحثين القدامى والمحدثين ، وثمة أدلة أخرى ذكرها بعض الباحثين^(٣) ، ولعل معظمها لا يخرج عما ذكرناه . وللرضى الاسترأباذى قول جامع في هذه الأدلة يستحسن أن نثبته هنا ، فبعد أن ذكر بعضاً منها ، قال : «إن جميع ما ذكر من المقلوبات يعرف بأصله ، فالجاء والحادى والقسى عرف قلبها بأصولها وهى الوجه والوحدة والقوس ، وكذا أيسَ يَأيسُ باليأس ، وآرمٌ وأدُرٌ برثم ودارٍ»^(٤) .

تفسير القلب المكاني :

شغل اللغويون القدامى والمحدثون بظاهرة القلب المكاني ، وحاولوا أن يضعوا تفسيراً وتعليلاً لها ، ويكاد القدامى يحصرون أسبابها بما يلي :

١- الضرورة الشعرية : وذلك أن الشاعر قد يضطر أحياناً إلى قلب كلمة لتتفق مع قافيته ، فابو الفتح عثمان بن جنى بعد أن تحدث عن القلب في

١- برجستراسر ، التطور النحوى للغة العربية ، أخرجه وصححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب ، (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) ، ص ٣٦ .

٢- انظر التطور اللغوى ٣٦ ، والتطور النحوى ، ٥٨ .

٣- انظر عبد الفتاح الحمور ، ظاهرة القلب المكاني في العربية ، ص ٥٢ وما بعدها .

٤- شرح الشافية ٢٤ ، وانظر أيضاً محمد الانطاكي ، المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها (بيروت ، دار الشرق العربى ، ط ٣ ، بلا تاريخ) ١٤٩/١ .

كلمة (اليَمِي) فى قول الشاعر ^(١) :

مَرَوَانُ مَرَوَانُ أَخُو الْيَوْمِ الْيَمِي

قال : «جار ذلك ضرورة لما يعقب من صلاح القافية» ^(٢) .

وقال فى موضع آخر : «والقلب فى كلامهم كثير وقد قدمنا فى أول هذا الكتاب ، أنه متى أمكن تناول الكلمة على ظاهرها لم يسجز العدول عن ذلك بها ، وإن دعت ضرورة إلى القول بقلبها ، كان ذلك مضطراً إليه لا مختاراً» ^(٣) . وابن عصفور يقول فى ممتعه : «فالقلوب على قسمين : قسم قلب للضرورة نحو قولهم : (شواعى) فى شوائع فى الشعر ، قال ^(٤) :

وكان أولها كعابُ مقامير ضربت على شُرُنٍ فهنَّ شَواعى

يريد شوائع ، أى متفرقات ^(٥) .

ويقول أيضاً فى ضرائر الشعر : «والقلب فى الكلام كثير وإنما جاء للضرورة ، ولم يستعمل فى سعة الكلام» ^(٦) . ويلاحظ أن ابن جنى وابن عصفور حصرا الضرورة فى الشعر فقط ، بينما كان الفراء (ت ٢٠٧هـ) يعد ذلك سواء فى النثر والشعر ^(٧) .

١- البيت لأبى الأخضر الحماني ، وهو فى سيبويه ٣٧٩/٢ ، والخصائص ٦٤/١ ، ٧٦/٢ ، ٤٧٣ .
والنصف ١٠٢/٢ والمتن ٦١٥/٢ .

٢- الخصائص ٧٨/٢ .

٣- السابق ، ٨٢/٢ .

٤- هو الأجدع بن مالك الهمداني ، والبيت فى الأصمعيات ٦٥ ، والنصف ٥٧/٢ ، والشزن : الكعب الذى يلعب به ، والبيت فى وصف خيل منيرة . انظر اللسان (شزن ، شيع) .

٥- المتن ٦١٥/٢ .

٦- ابن عصفور ، ضرائر الشعر ، تحقيق السيد إبراهيم (دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٨٠م) ١٩١ .

٧- انظر يحيى بن زياد الفراء ، معانى القرآن ، تحقيق د. عبدالفتاح شلبى ، مراجعة على النجدى ناصف (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، ١٢٤/٢ ، ٣٩٤ .

٢- الاتساع فى اللغة : إن للغة العربية طرقها ووسائلها الخاصة فى توليد ألفاظ جديدة مما يسهم فى اتساعها ويزيد فى ثرائها وغناها ، وعدّ القلب المكانى من هذه الوسائل ، يقول ابن عصفور : «وقسم قلب توسعاً من غير ضرورة تدعو إليه ، لكنه لم يطرد عليه فيقاس ... ولا يمكننا استيعاب ما جاء من ذلك هنا لسعته» (١) .

٣- طلب الحذف ، وكراهية اجتماع همزتين فى الطرف : إن اجتماع همزتين فى آخر الكلمة مستكره مستثقل فى اللفظ ، ولتجنب هذا الثقل فإن العربية سلكت مسلك القلب المكانى للتخلص من اجتماع الهمزتين . ولتوضيح ذلك لابد من ذكر قانون صرفى مشهور يقضى بقلب الواو والياء همزة ، إذا وقعتا عيناً فى اسم الفاعل ، مثل نام (نَوْم) فاسم الفاعل منه نائم ، والأصل ناوم ، فقلبت الواو همزة ، وكذلك الفعل باع (بيع) اسم الفاعل بائع ، والأصل بايع ، فقلبت الياء همزة . وهذا قانون معروف ثابت فى علم الصرف (٢) . فلو طبقنا هذا القانون على الفعل (جاء) لكان اسم الفاعل منه يمرُّ بالسلسلة الآتية :

جاء (جَيًّا) جايىء جائئىء .

ومن الواضح أن التلفظ بـ (جائئىء) مستثقل ، وهذا الثقل ناجم عن اجتماع الهمزتين فى الطرف ، ولذا استبعدت العرب هذه اللفظة واستبدلت بها (جائئى) .

ولتعليل هذه الظاهرة وتفسيرها ذهب الخليل إلى أن (جائئى) لم تقلب فيها الياء إلى همزة حسب قانون الإعلال السابق ، وإنما جرى فيها قلب مكانى ،

١- المتع ٦١٦/٢ ، وانظر ارتشاف الضرب ١/ ١٦٠ .

٢- انظر المنصف ١/ ٢٨٠ ، والمتع ١/ ٣٢٧-٣٢٨ ، وشرح الشافية ٢/ ١٢٧ .

فتقدمت الهمزة ع على الياء فصارت الجائي^(١) ، وبذا تُخْلَص من اجتماع الهمزتين ، ومثل ذلك يقال فى الجمع المكسر لمثل هذه الأسماء ، وكذلك الجمع المكسر للأسماء التى فيها همزة قبلها حرف مد ، نحو ، خطيئة وخطايا .

٤- اختلاف اللغات : ردّ كثير من اللغويين ظاهرة القلب إلى اختلاف اللهجات العربية ، فالبصريون يعدّون اللفظين إذا تساويا تصرفاً من باب اللغات^(٢) . ويقول ابن دريد فى الجمهرة باب الحروف التى قلبت : وزعم قوم من النحويين أنها لغات^(٣) . وذهب ابن درستويه إلى أن ما يعده اللغويون قلباً ما هو إلا لغات تداخلت^(٤) .

ب- تفسير ظاهرة القلب المكاني عند المحدثين :

اهتم المحدثون بهذه الظاهرة وسعوا إلى تحليلها والكشف عن أسبابها ، ولا يكاد كتاب صرفى يخلو من الحديث عنها ، حتى إن بعضهم^(٥) ألف كتاباً مستقلاً فى هذه الظاهرة ، ويمكننا أن نجمل ما توصل إليه المحدثون فى تفسيرها بما يلى :

١- التوسع فى اللغة ، كما نص على ذلك القدامى ، وعن ذهب هذا المذهب الأب أنستاس الكرملى ، فقد عدّ القلب من موسعات اللغة^(٦)

١- انظر سيويه ٣٧٧/٤ ، ٣٨٠ ، والنصف ٥٣/٢ ، والمحيط ١٤٩/١

٢- المزهري ٤٧٦/١ .

٣- نفسه ٤٨١/١ .

٤- نفسه ٤٨١/١ .

٥- هو الدكتور عبد الفتاح الحمور ، وانظر ما تقدم حاشية ٢٧ .

٦- انظر نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاؤها ، ص ١٦ . وانظر أيضاً د. محمد بدوى المختون «ظاهرة القلب

المكاني فى العربية» ، ص ٢٨٦ .

ويقول فى كتابه نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها : «المراد بـ (تكامـل اللغة واكتهاها) تقلب أحرف تركيبها وإفادـة معنى جديد فى كل تغير فيها ، وسهولة الاشتقاق من ذلك القلب مع استساغته ، فىكون مع هذا القلب الجديد معنى جديد واشتقاق جديد ، فى جميع الأوجه ، وقد فىكون قلب ولا فىكون سائغاً ، فلا يشتق منه شىء ، لأن ذوق العرب لا يستسغه ، ويأبى أن يبقـيه على لسانه ، لغرابته أو لشناعته ، فىنبذه عنه نبذاً قصيماً لا ندم فىه ولا سدم ، مثال ذلك قولك : (مدح) نشق منه : مدحه ، وتمدحه ، وامتدحه ، والمدح والمديح ، والأمدوحة والمدوح . فإذا قلبته قلت حمد ومنه : حمده ، وحمد الله ، وأحمد الرجل ، وحمد به الحماد ، والحمدادى والحمدادى ، والحمد والحمدة إلخ . . . » (١) .

ومما هو خلىق بالملاحظة هنا أن الأب الكرملى ، ينظر إلى القلب بمعناه الواسع ، ولا يشترط كما يشترط البصريون من وجود أصل وفرع ، وأن فىكون الفرع أقل تصرفاً . وثمة شىء آخر ، وهو أنه لا يرى أن فىكون الأصل ومقلوبه متطابقين فى المعنى مطابقة تامة ، بل فىكفى عنده أن فىجمعها معنى عام مشترك ، ولا فىضير أن فىكون بينهما شىء من اختلاف فى الدلالة .

والى هذا ذهب الدكتور إبراهيم السامرائى ، فى الكلمة التى صدر بها كتاب ظاهرة القلب المكانى فى العربية للدكتور الحمور ، فىقول : «وربما تتجاوز هذه الظاهرة اللغوية جملة الكلم الذى حمل على القلب ، وكأنهم اشترطوا فى الأصل ومقلوبه أن فىكونا بمعنى ، غير أنى أرى أن هذه الظاهرة تندرج فى جملة المواد التى تألفت منها العربية ، وإذا كان الإبدال فى يقفنا على مواد كثيرة جرى فيها العربون ، أو قل سمحت بها العربية إلى الافتنان فى اختلاف

١- نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها ١٢٠-١٣٠ .

الدلالة ، مع شيء يجمع جمهرة هذه المواد فى معنى عام ، يسرى فى عامة هذه الألفاظ . ألا ترى أن فرق وفقر ، وفرج وفجر ، وحذر ودحر ، ودحر ، وهدر شيء من هذه الدلالات التى توسع فيها فكان بينها اتفاق واختلاف فى الوقت نفسه ؟ وربما لم يلتفت الكثير إلى أن بين مدح وحمد وشيعة رحم^(١) . ولعل هذه النظرة الواسعة إلى القلب تمت بسبب وثيق إلى ظاهرة تقاليب الجذر الواحد التى فطن إليها الخليل بن أحمد ، وأولع بها ابن جنى وخصص لها باباً فى خصائصه هو «باب الاشتقاق الأكبر»^(٢) .

والحق أنه يجب أن نميز بين نوعين من القلب : أولهما هذا القلب الذى ينشأ عن تقاليب الجذر الواحد ، وهو بلا شك ليس له من سبب إلا التوسع فى اللغة وإغناءها ، غير أن انسجام أحرف بعض التقاليب ، وتقبل الذوق العربى لها . ونبذه ما لم ينسجم أو يأتلف ، جعل بعضاً منها يتشعر ويشيع ويكتب له الخلود ، وبعضها الآخر يستبعد ، فيندثر ويفنى .

أما القلب الآخر فهو الذى له أصل وفرع ، ومعنى كل منهما مطابق كل التطابق مع معنى الآخر ، ولا يمنع أن يتصرف الفرع تصرف الأصل ولا يبعد أن يشيع الفرع ويتشعر أكثر من الأصل ، بل ربما نسى الأصل ومات ولم يعرف الناس إلا الفرع ، ومن الطبيعى أن يكون وراء ذلك أسباب أخرى غير التوسع فى اللغة .

٢- السهولة والتيسير ، وتجنب صعوبة النطق : من الرسوم الثابتة ، والأحكام الراسخة أن اللغة العربية تخرج إلى الخفة والسهولة وتبتعد عن صعوبة النطق وثقله ، حتى إنه يمكن أن نقول : إن كل ما استخفته العرب

١- عبد الفتاح الحمور ، ظاهرة القلب المكاني فى العربية ، ٣ .

٢- الخصائص ١/٥٢٥-٥٣١ .

نطقته وكل ما استثقلته نبذته وتركته ، أو أوجدت مسرباً ومسلكاً للتخلص من هذا الثقل ، ولتحقيق نوع من الانسجام والائتلاف بين أحرف اللفظ الواحد .

وتأسيساً على هذه الخاصية للغة العربية فسر الباحثون المحدثون ظاهرة القلب المكانى ، يقول الدكتور أحمد مختار عمر : «وقد يقع القلب بغية التيسير وتحقيق نوع من الانسجام الصوتى ، كما فى طمس التى قلبت إلى طسم ، حتى لا يفضل بين الطاء والسين (وهما متقاربا المخرج) بالميم»^(١) .
وذهب إلى ذلك الدكتور رمضان عبد التواب ، فقال : «والقلب المكانى وهو عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض لصعوبة تتابعها الأصلى على الذوق اللغوى ، وهى ظاهرة يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير كذلك»^(٢) .

ومن ذهب هذا المذهب أيضاً الدكتور عبد الفتاح الحمور إذ يقول : «ولعل ما يمكن حمله على توخى السهولة فى نطق بعض الأصوات ما نلاحظه من قلب مكانى فى بعض الألفاظ العربية فى لغة بعض الأطفال كقولهم : قعل فى عقل ، وإجعار فى إعجار ، فقدموا القاف ، الحرف اللهوى على العين الحرف الحلقى فى الكلمة الأولى ، لأنه أيسر فى النطق فى صدر الكلمة من العين ، والقول نفسه فى الكلمة الأخرى ، فالجيم حرف شجرى ، والعين حرف حلقى ، فتتابع الهمزة والعين حرفى الحلق مستثقل عندهم ، ولذلك فصلوا بينهما بالحرف الشجرى»^(٣) .

١- د. أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوى (القاهرة ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) ص ٣٣٦ .

٢- التطور اللغوى ٥٧ .

٣- عبد الفتاح الحمور ، ظاهرة القلب المكانى فى العربية ، ٤٣ .

وكذلك حاول المستشرقون تحليل هذه الظاهرة اعتماداً على مبدأ السهولة والتيسير . ومن هؤلاء برجشتراسر ، إذ رأى أن من أسباب القلب تجنب صعوبة اللفظ الناشئة من تجاوز بعض الأصوات ، ويذهب برجشتراسر إلى أن (افتعل) مقلوب من (اتفعل) ، فيقول : «والافتعال تأوّه في العربية دائماً تالية لفاء الفعل ، وكانت في الأصل سابقة لها ، كما هي في الآرامية نحو (eTKRi) أى اقترأ ، يعنى قرأ ، لكنها كانت تؤخر بعد فاء الفعل ، إذا كانت هي واحداً من حروف الصفير نحو (eSTMa) أى استمع ، يعنى سَمِع . وعلى هذا القياس آخرت العرب التاء في سائر الأفعال أيضاً ^(١) .

ويفهم من كلامه أن القلب كان سببه تجاوز التاء - وهو صوت انفجارى - أصوات الصفير (السين والشين) في مثل (اتَسَدَّ) و (اتَشَدَّ) وأضرابهما ، فتتابع الانفجارى والصفيرى مستثقل في العربية وهو مستثقل في اللغات السامية أيضاً ^(٢) .

وإلى ذلك ذهب الأب هنرى فليش في كتابه العربية الفصحى ، إذ يقول : «افتعل يفتعل ، وهي في صورتها الأولى كانت تحتوى تاء (١) على الوجه :

يَتَفَعِّل يَتَفَعِّل .

فإذا حدث أن كان الصامت الأول من الأصل الثلاثى صوت صفير أو صوتاً (متفشياً) مُسَرّاً وهو الشين نتج من ذلك تتابع ثقل في العربية وذلك كان نأخذ الصيغة الأولى الفعل سند ، فالصيغة منه : يَتَسَدِّد ، وقد قلبت اللغة الصوامت على الوجه التالى : يَسْتَدِّدُ إلى . فمن هذه الأفعال الكثيرة فشت

١- التطور النحوى ٩٢ .

٢- انظر عبد الفتاح الحمور ، ظاهرة القلب المكاني في العربية ، ٤٠ .

ظاهرة القلب المكانى . إلى الأفعال الأخرى ، التى تحتوى على هذا النوع من الأصوات فى صوامتها الأصلية الأولى» (١) .

ويرى الدكتور حمور أن ما تقلبه العامة مرده إلى التخلص من صعوبة اللفظ ، وطلب السهولة ، يقول : «ولسنا ننكر أن كثيراً من لحن العامة يمكن إخضاعه لهذا القانون كقولهم : أطعنى فى أعطينى ، للتخلص من صعوبة حرفى الحلق العين والهمزة ، وكذلك قولهم : هُصْ فى صه . ويتراءى لنا ذلك بيننا فى قول الأم لإبنها هُصْ ، لإسكانه ، وقد يعود ذلك لأمر نفسى أيضاً ، ولعل ما يعزز تأخير صوت الصفير ، قول العامة فعص فى فصع ، وقولهم خفض الأرض فى خسفها» (٢) .

٣- اختلاف اللهجات : كما ردّ بعض العلماء القدامى القلب المكانى إلى اختلاف اللغات ، فإن بعض المحدثين أيضاً ذهبوا هذا المذهب وارتضوه ، فالدكتور صبحى الصالح يرى أن القلب المكانى يمكن أن يرد إلى اختلاف اللهجات ، يقول : «وفى هذا الجو الغامض من تأثير بعض الأصوات ببعض - وهو نتيجة حتمية لسنطق قبيلة بدوية لم يتم صقل لغتها - لم يستنكف تميم عن تقديم الحروف وتأخيرها فى ألفاظ معينة ، فهى تقول فى القسم : رَعَمَلَى ، عوضاً عن لَعَمَرَى ، كما تقول جبذ بدل جذب» (٣) .

ويقول أيضاً : «فإن يك فى وسعنا أن نرجع بالكثير من هذه التقلبات إلى ضرب من اختلاف اللهجات ...» (٤) .

١- هنرى فليش ، العربية الفصحى ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين ، (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية) ، ص ١٤٦ .

٢- عبد الفتاح الحمور ، ظاهرة القلب المكانى فى اللغة ، ٤٩ .

٣- صبحى الصالح ، دراسات فى فقه اللغة (بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٤ ، ١٣٧٠هـ - ١٩٧٠م) ، ص ١٠٣ .

٤- نفسه ٢٠٩ .

وعن علل ظاهرة القلب المكانى باختلاف اللهجات الدكتور إبراهيم السامرائى ، فهو يرجع هذه الظاهرة إلى اختلاف البيئات اللغوية ، ودليله على ذلك ما رصده من قلب مكانى فى الألسن الدارجة نتيجة اختلاف الأقاليم اللغوية ، يقول : «والذى نراه أن الألفاظ المقلوبة فى الألسن الدارجة ، ووجودها فيها يشعرونا أنها من الاختلافات الإقليمية اللغوية ، يقول كثير من العراقيين : «إن هذا الشيء يساوى نظيره الآخر» فى حين أن جماعات أخرى فى جهات معينة معروفة تقول : «إن هذا الشيء يواسى» . وهذه الاختلافات فى الألوان العامية كثيرة ، وربما اتخذنا منها دليلاً فى أن الألفاظ المقلوبة فى فصيح العربية ترجع إلى السبب نفسه» (١) .

والى ذلك ذهب الدكتور أمين السيد ، فهو يرى أن كل الألفاظ المقلوبة ما هى إلا لغات ، يقول : ولست أرى ما الذى منع البصريين من أن يقولوا : إن كل الألفاظ التى وقع فيها القلب تعتبر لغات أخرى» (٢) . وأرى أن الدكتور السيد قد أبعد النجعة فى ذلك ، فلا يمكن أن نوافقه فى أن كل ما وقع فيه القلب مرده إلى اللغات ، فهناك ضروب من المقلوبات ناجمة من أسباب صوتية كما رأينا .

وللدكتور عبد الفتاح حمور رأى أراه مصيباً ، فهو يقول : «ولسنا ننكر أن يكون بعضها من باب اللغات ، ولكننا لا نستطيع عدّ تلك الألفاظ المقلوبة فى القبيلة الواحدة كذلك ، ولعلنا نستطيع أن نجارى أصحاب مظان اللغة وغيرها

١- د. إبراهيم السامرائى ، التطور اللغوى التاريخى (بيروت ، دار الأندلس ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ -

١٩٨١م) ، ١٢٠ .

٢- أمين السيد ، فى علم الصرف (القاهرة ، دار المعارف ، ط ١ ، ١٩٧٦م) ص ٦٨ .

فى الإشارة إلى أن تلك اللفظة لغة فى الأخرى أو متطورة ، أو أن اللفظين لغتان» (١) .

٤- نظرية السلاسل الصوتية :

إن أحدث تفسير لظاهرة القلب المكاني ، هو نظرية السلاسل الصوتية التى أخذ بها الدكتور إبراهيم أنيس ، اعتماداً على الإحصائيات اللغوية التى أجريت بواسطة الحاسوب .

وتقوم هذه النظرية على أن الإنسان يختزن فى مخه محصولاً لغوياً ضخماً ، مرتباً وفق سلاسل صوتية ، وهذه السلاسل تختلف فى نسبة شيوعها فى الكلام ، فمنها الكثير الشيوع ، ومنها المتوسط ومنها النادر . وأن السلاسل الصوتية الأكثر شيوعاً من الناحية الإحصائية هى أكثر السلاسل خطوراً فى الأذهان ، وأسرع فى الاستجابة حين الحاجة (٢) .

وفى تفسير حدوث القلب المكاني بناءً على هذه النظرية يقول الدكتور أنيس : «إذا سمع السامع أو نطق الناطق بسلسلة من تلك السلاسل الصوتية القليلة الشيوع ، تداعت لها مسرعة سلسلة أخرى أشبه بها ، أو أقرب إليها ، وهى فى نفس الوقت أكثر منها شيوعاً وتردداً فى كلام الناس ، فكأنما كانت تطفو على سطح الشعور ، ولذلك تبادر قبل غيرها فى الاستجابة إلى المتكلم أو السامع . فحلول سلسلة صوتية محل أخرى ، وهذا هو القلب المكاني ، سره الحقيقى أن السلسلة الجديدة الطارئة أكثر شيوعاً ودورانياً فى الكلام من الأخرى . هذا هو الذى يفسر لنا ظاهرة القلب المكاني فى معظم أمثلة العربية بوجه عام» (٣) .

١- عبد الفتاح الحمور ، ظاهرة القلب المكاني فى العربية ، ص ٧٣ .

٢- انظر إبراهيم أنيس «مسطرة اللغوى» مجلة مجمع اللغة العربية ، ص ١٠-١١ .

٣- السابق ، ص ١١ .

وعلى ضوء هذه النظرية فسّر قلب (أيس) عن (يشس) ، قال : «خذ مثلاً الفعل «يشس» ومقلوبه (أيس) ، نجد أن التفسير العلمى لهذا القلب هو أننا نجد فى الإحصاءات التى بين أيدينا ، والتى استخدم فى استخراجها جهاز الكمبيوتر ، وهى الإحصاءات التى ندعوها مسطرة اللغوى ، نجد أن الجذر الثلاثى الذى يبدأ بالياء ، وبعدها الهمزة أقل شيوعاً من الذى يبدأ بالهمزة وبعدها الياء ، فبينما يرد الأول فى إحصاءاتنا مرة واحدة فقط ، يرد الثانى عشر مرات .

وكذلك نجد أن الجذر الثلاثى الذى ينتهى بالهمزة وبعدها السين ، أقل شيوعاً من الذى ينتهى بالياء وبعدها السين ، فبينما يرد الأول فى إحصاءاتنا مرتين فقط ، يرد الآخر ثمانى مرات . وأخيراً نجد أن المادة الثلاثية التى تبدأ بالياء وتنتهى بالسين أقل شيوعاً من تلك التى تبدأ بالهمزة وتنتهى بالسين ، فبينما ترد الأولى فى إحصاءاتنا سبع مرات ، ترد الأخرى خمسة عشر مرة . وهكذا نرى أن الذى سوغ القلب المكائى فى الفعل (يشس) ليصبح (أيس) هو نسبة شيوع السلسلة الصوتية ، (أيس) فى الكلام العربى أكثر كثيراً من نسبة شيوع السلسلة الأخرى^(١) . وعلى ضوء هذه النظرية عدّ أصل لفظة (مَلَك) هو (لاك) لا (ألك)^(٢) كما ذهب إليه بعض النحويين .

إن هذه النظرية من حيث المبدأ مقنعة للباحث ، ولعلها الأقرب إلى تفسير ظاهرة القلب المكائى ، غير أننا كنا نود من الدكتور الفاضل ألا يكتفى بالتمثيل بلفظين فقط للتدليل على صحة نظريته ، ولكن يكفيه أنه كان رائداً فى هذا الحقل ومكتشفاً لهذه النظرية . ولعل بعض المهتمين بالإحصاءات اللغوية عن

١- السابق ، ص ١١ - ١٢ .

٢- انظر إبراهيم أنيس «ملك ، ملاك ، ملائكة» مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج ٣١

(صفر ١٣٩٣ هـ ، مارس ١٩٧٣ م) ص ١٢ .

طريق الحاسوب ، يُخضع أكبر عدد من الكلمات المقلوبة للدراسة الإحصائية ، لنرى مدى أطراد هذه النظرية فى تفسير هذه الظاهرة .

٥- الوهم والخطأ : ربما يكون الوهم والخطأ سبباً من أسباب القلب المكانى ، وقد أشار القدامى إلى مثل هذه القلب الذى يرد إلى التصحيح والخطأ فى الرواية ^(١) . وأشار إليه من المحدثين الدكتور صبحى الصالح ^(٢) ، والدكتور عبد الفتاح حمور ^(٣) ، والدكتور محمد بدوى المختون ^(٤) . وأكثر مايتضح ذلك فى لهجات العامة ولغة الأطفال من مثل قولهم : تفلس فى تفلس ، وفلسة فى فلسفة ، وجنزبل فى رنجبيل والبرهجة فى البهجة .

ولعل لا أجاور الحقيقة إذا ما زعمت أن هذا السبب يرد إلى باب السهولة واليسير وتجنب الصعوبة . وذلك أن أكثر هذه الكلمات المقلوبة إما إنها كلمات أجنبية دخلت العربية مثل كهرباء وفلسفة ، وإما إنها كلمات عربية صعبة اللفظ . وفى كلتا الحالتين فالتكلم الذى لم تصقل لغته كالعوام والأطفال فإنه يقع فى كلامه ذلك القلب طلباً للخفة وهرباً من الثقل .

٦- وأخيراً قد يكون المقلوب منشؤه العبث والتهكم فيكون فى قلب بعض الألفاظ نوع من التفكه ولفت الانتباه ، وهذا ما نجد ونسمعه فى كثير من مجالس الأتس والسمر بين الأصدقاء ، والظرفاء منهم خاصة ، ونسمعه أيضاً فى بعض المشاهد التمثيلية ، والإشهارات التجارية ، مثل : (Jours Bon , Bonjours) .

١- انظر ابن منظور ، اللسان (سعب ، قنط) والزبيدى ، التاج (سعب ، حلجز) .

٢- دراسات فى فقه اللغة ، ٢٠ .

٣- عبد الفتاح الحمور ، ظاهرة القلب المكانى فى العربية ، ٧٤ .

٤- محمد بدوى المختون ، ظاهرة القلب المكانى فى العربية ، ص ٣٠١ .

صور القلب المكاني :

يرد القلب المكاني على خمس صور محتملة ، سأذكرها مرتبة حسب ورودها في شرح الرضى للشافية ^(١) :

- ١- تقديم اللام على العين : وهذه الصورة أكثر صور القلب وورودًا ، مثل :
نَاءَ مقلوب عن نَأَى ، وراءَ في رأى ، ولاع في لائع ، ورَضِبَ في رِبْضَ ، وشَوَاع في شَوَائِعَ .
- ٢- تقديم اللام الأولى على العين ، وهي صورة قليلة ، مثل : طَأْمَنَ وأصله طَمَانٌ ، وهذا مذهب سيبويه وقد خالفه أبو عمر الجرمي فكان يرى أن (طمأن) هو الأصل وقد وافقه ابن عصفور على ذلك ^(٢) .
- ٣- تقديم العين على الفاء : مثل أَيْس في يَيْسَ ، وجَاهٍ في وَجْهِ ، وآرَاءَ في آرَاءَ . وآبَارَ في أَبَارَ .
- ٤- تقديم اللام على الفاء : وهذه صورة نادرة ولها مثلاً واحد هو (أشياء) وأصلها شَيْئَاءَ ، وهذا مذهب الخليل وسيبويه .
- ٥- تأخير الفاء على اللام . وهي صورة قليلة الحدوث ، ومن أمثلتها الحادى وأصله الواحد ، أخرت الواو إلى ما بعد اللام (الدال) فصار حادو ، فوقعت الواو طرفًا بعد كسر ، فغلبت ياءً فصار الحادى . ومثل ذلك ، الطادى ، وأصله الواطد . وشأنها شأن (الحادى) من حيث القلب والإعلال .

١- شرح الشافية ٢١/١-٢٢ .

٢- انظر ما تقدم حاشية ٥ .

هل فى القرآن الكريم قلب مكانى ؟

مر معنا أن من أسباب القلب المكانى الخطأ والوهم ، وهذا الضرب من القلب لا يمكن أن يرد البتة فى القرآن الكريم ، فكتاب الله عز وجل منزّه عن كل وهم أو خطأ . بيد أن ثمة أنماطاً أخرى من القلب ، يمكن أن ترد فى القرآن الكريم .

ولم أعلم - حسب اطلاعى المحدود - أحداً من القدماء أنكر القلب فى القرآن الكريم إلا ابن فارس ، فبعد أن ذكر القلب فى كتابه الصحبى ، قال : «وليس من هذا - فيما أظن - من كتاب الله جلّ ثناؤه - شىء»^(١) . وكلام ابن فارس هنا لم يكن قاطعاً جازماً ، فهو يقول : فيما أظن . عبارة ممرضة كما يقول أجدادنا . والظن لا يغنى من الحق شيئاً .

فالامر إذاً يحتاج إلى بحثٍ وتدقيق ، وتقصيرٍ وتمحيصٍ فى القراءات القرآنية . وقد كفانا مؤونة ذلك الأستاذ محمد عبد الخالق عزيمة ، فقد نشر مقالاً فى مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء ، وذلك بعدما أمعن النظر فى القراءات القرآنية ، يقول رداً على كلام ابن فارس الآنف الذكر : «والحكم بأن القرآن خلا من القلب المكانى إنما يكون بعد النظر فى القراءات المتواترة ، وقد نظرت فى هذه القراءات»^(٢) .

وكانت نتيجة تلكم النظرة الفاحصة إثبات القلب المكانى فى القرآن الكريم فى قراءات سبعة على ثلاثة أضرب ، وضحها الأستاذ بقوله : «فوجدت

١- الصحبى ، ٢٠٢ .

٢- محمد عبد الخالق عزيمة «القلب المكانى فى القرآن الكريم» مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الأول ، (السنة الأولى ، ١٤٠١هـ - ١٤٠٢هـ) ص ٢٧٥ .

قراءات سبعة متعينة للقلب المكانى وأخرى تحتل القلب وغيره ، وثالثة يكون فيها قلب عند بعض النحويين ، ولا يكون فيها قلب عند آخرين^(١) . ثم أورد أمثلة على كل ضرب ، ذاكراً القراءات المختلفة ، وتوجيه تلك القراءات على طريق القلب المكانى^(٢) . وبعد ذلك ختم بحثه بإيراد أمثلة على القلب المكانى فى القراءات الشاذة^(٣) .



١- السابق ، ٢٧٥ .

٢- السابق ، ٢٧٥ - ٢٧٩ .

٣- السابق ، ١٧٩ - ٢٨٤ .

الختمة

وفى نهاية بحثنا هذا ، يمكننا أن نجمل القول بما يلى :

إن القلب المكائى ظاهرة بارزة فى لغتنا العربية الفصيحة والدارجة على حد سواء ، كما نجدها فى بعض اللغات الأجنبية وخاصة الساميات منها . وقد أشار إليها القدامى ، وذكروا أمثلة عليها ، وبينوا حدها وأدلتها ، وحاولوا تفسيرها ، فأرجعوها إلى اختلاف اللغات والانتساع فى اللغة وإلى الضرورة الشعرية .

كما استحوذت هذه الظاهرة على اهتمام المحدثين والمستشرقين ، فجعلوا لها حيزاً فى مؤلفاتهم ، وحاولوا السبب عن أسبابها من أجل تفسيرها تفسيراً علمياً ، فأرجعها بعضهم إلى نظرية السهولة وتجنب الصعوبة فى النطق ، وردها فريق إلى اختلاف البيئات اللغوية ، إلى جانب تفسيرات أخرى ، ولعل كل هذه الأسباب مجتمعة - على اختلاف كبير فى التأثير - قد أسهمت فى نشوء هذه الظاهرة .

وأحدث تفسير لهذه الظاهرة نظرية السلاسل الصوتية التى اعتمدت على الإحصاءات اللغوية عن طريق الحاسوب ، ولعل هذه الإحصاءات إذا طبقت على أكبر عدد من المقلوبات ، تقدم نتائج أفضل يطمئن إليها الباحث فى هذه الظاهرة .

ثبت المصادر والمراجع

- ١- الانطاكى ، محمد الانطاكى ، المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها (بيروت ، دار الشرق ، ط٣) .
- ٢- الأستراباذى ، رضى الدين الأستراباذى ، شرح الشافية ، تحقيق محمد نور الحسن ورفيقه (القاهرة ، مطبعة حجازى) .
- ٣- برجشتراسر ، التطور النحوى للغة العربية (القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ط٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .
- ٤- بروكلمان ، كارل بروكلمان ، فقه اللغات السامية ، ترجمة رمضان عبد التواب (الرياض ، مطبوعات جامع الرياض ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٧م) .
- ٥- بكوش ، الطيب بكوش ، التصريف العربى من خلال علم الأصوات الحديث (تونس ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، ط٢ ، ١٩٨٧م) .
- ٦- الجرجانى ، على بن محمد الجرجانى ، التعريفات (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٣هـ) .
- ٧- ابن جنى ، أبو الفتح عثمان بن جنى .
- الخصائص ، تحقيق محمد على النجار (بيروت ، دار الهدى للطباعة والنشر) .
- المنصف ، تحقيق إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين (القاهرة ، مكتبة مصطفى البابى الحلبي ، ١٩٥٤م) .

٨- الحديثى ، خديجة الحديثى ، أبنة الصرف فى كتاب سيبويه - بغداد ،
مكتبة النهضة ، ط ١ ، ١٩٦٥ .

٩- الحريرى ، القاسم بن على ، درة الغواص فى أوهام الخواص ، تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع
والنشر) .

١٠- الحملاوى ، أحمد الحملاوى ، شذا العرف فى فن الصرف (بيروت ،
المكتبة العلمية ، بلا تاريخ) .

١١- الحموز ، عبد الفتاح الحموز ، ظاهرة القلب المكانى فى العربية : عللها
وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها (بيروت ، مؤسسة الرسالة ،
عمان ، دار عمار ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) . نُشر بدعم
من جامعة مؤتة .

١٢- أبو حيان ، محمد بن يوسف بن على بن حيان الأندلسى ، ارتشاف
الضرب من لسان العرب ، تحقيق مصطفى أحمد النماس
(١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) .

١٣- الزبيدى ، مرتضى الحسينى الزبيدى ، تاج العروس من جواهر القاموس
(الكويت ، مطبعة حكومة الكويت) .

١٤- السامرائى ، إبراهيم السامرائى ، التطور اللغوى التاريخى (بيروت ، دار
الأندلس ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) .

١٥- سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام
هارون ، (القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م) .

١٦- السيد ، أمين السيد ، فى علم الصرف (القاهرة ، دار المعارف ، ط ٣ ،
١٩٧٦ م) .

- ١٧- السيوطى جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، المزهرفى علوم اللغة ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفيقه (القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى بابى الحلبي وشركاه ، بلا تاريخ) .
- ١٨- الشدياق ، أحمد فارس الشدياق ، الجاسوس على القاموس ، (القسطنطينية ، مطبعة الجوائب ، ١٢٩٩هـ) .
- ١٩- الشمسان ، أبو أوس إبراهيم الشمسان ، دروس فى علم الصرف ، (الرياض ، مكتبة الرشد ، ط ١ ، ١٤١٨هـ) .
- ٢٠- الصالح ، صبحى الصالح ، دراسات فى فقه اللغة ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٤ ، ١٣٧٠هـ - ١٩٧٠م) .
- ٢١- عبد التواب ، رمضان عبد التواب ، التطور اللغوى : مظاهره وعمله (القاهرة ، مكتبة الخانجسى ، الرياض ، دار الرفاعى ١٩٨١م) .
- ٢٢- ابن عصفور ، على بن مؤمن بن عصفور ، الممتع فى التصريف ، تحقيق فخر الدين قباوة ، (حلب ، المكتبة العربية ، ط ١ ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) .
- ٢٣- عمر ، أحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوى (القاهرة ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) .
- ٢٤- ابن فارس ، أحمد بن فارس ، الصحبى فى فقه اللغة العربية وسنن العرب فى كلامها ، تحقيق مصطفى الشويمى (بيروت ، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر ، ١٩٦٤م) .
- ٢٥- الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد ، معانى القرآن ، تحقيق عبد الفتاح

شلبى ، مراجعة على النجدي ناصف (القاهرة ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، بلا تاريخ) .

٢٦- فليش ، هنرى فليش ، العربية الفصحى ، ترجمة عبد الصبور شاهين
(بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، بلا تاريخ) .

٢٧- فندريس ، اللغة ، تعريب عبد الحميد الدواخلى ، ومحمد القصاص
(مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٠م) .

٢٨- الفيومى ، أحمد بن محمد بن على الفيومى ، المصباح المنير
(بلا تاريخ ، وبلا مكان) .

٢٩- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، أدب الكاتب ، تحقيق
محمد محيى الدين عبد الحميد ، (بيروت ، دار المعرفة) .

٣٠- الكرملى ، الأب أنستاس مارى الكرملى ، نشوء اللغة العربية ونموها
واكتمالها (القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية) .

٣١- الكردى ، فرج الله زكى الكردى ، شروح التلخيص (القاهرة ، مطبعة
عيسى البابى الحلبي وشركاه ، بلا تاريخ) .

٣٢- المبرج ، يرتيل المبرج . علم الأصوات ، تعريب عبد الصبور شاهين
(القاهرة ، مكتبة الشباب ، بلا تاريخ) .

٣٣- المغربى ، عبد القادر المغربى ، الاشتقاق والتعريب (القاهرة ، لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م) .

٣٤- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب
(بيروت ، دار صادر ، ١٣٨٨هـ) .

٣٥- هلال ، محمد محمود هلال ، الوافى الحديث فى فن التصريف ،
(منشورات جامعة بنغازى ، ط ١ ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م) .